أنا رجل واحد وأنتِ قبيلة من النساء

نزار قباني

القصيدة تولد من أصابعها

1

ولدتُ ..
في الواحد والعشرين من آذار
في ذلك اليوم المزاجي الذي
تراهق الأرض به
وتحبل الأشجار

2

ماذا جرى في بيتنا ؟
في ليلة الواحد والعشرين من آذار .
فحرك الدموع والأشجان
وما لأمي قد بدت شاحبة ؟
وابتلعت صراخها.
ومزقت فراشها .
واستنجدت بمريم العذراء ، في مخاضها
وسورة الرحمن .

لا أحد أجابني ..
لكنني أحسست أن امرأة في بيتنا
كانت تعيش حالة ابتكار ...

3

ولدتُ في برج الحمل .
برج المجانين الذين قرروا
أن يسرقوا من السماء النار ...

4

خرجتُ من محارتي
مضرجاً كالسمكة ..
وفي يدي طبشورة تبحث عن جدار ..

5

هواية التكسير ..
كانت مهنتي .
وشهوة الخروج من
عباءة الأخوال و الأعمام ...

6

يوم اشتروا لي قلماً .. ودفتراً
قررت أن أكون من عائلة البروق ..
لا عائلة الأحجار ..

7

ولدتُ ..
في الواحد والعشرين من آذار .
وكنت في طفولتي
ـ كما تقول جارة قديمة في حينا ـ

مستنفراً للعشق .. مثل الديك ..
كانت مهنتي
أن أجمع النساء في قارورة..
و أجمع الأزهار ...

8

و عندما جاء أبي
في آخر النهار
قال لأمي ضاحكاً :
(استبشري يا فائزة)..
هذا الذي أنجبته
ليس بطفل أبداً ..
لكنه إعصار ...

9

حليب أمي .. كان حبراً أبيضاً
وثديها علمني صناعة الفخار .

10

ولدتُ في دمشق .
بين خِصاص الفل ..
والخبيزة الخضراء ..
والنرجس ..
والأضاليا ..
ولم يزل في لغتي
شيء من القرفة ، والكمون ، والبهار ..

11

مسقط رأسي في دمشق الشام .
حيث البيوت امرأة عارية
على بياض نهدها ..
تراهق الأنهار ..
معجزة أن يولد الإنسان في مدينة
ترمي على أكتافه
في الصيف ، آلافاً من الأقمار ...

12

ما كان عندي أبداً مشكلة
فكل شيء هاهنا ، وجدته ملحناً
الأرض ، والسماء ، والحقول ،
والطيور ، والرياح ، والأمطار .

13

كيف أقول : إنني وُلِدت ؟
ولم أزل في بطن أمي جالساً
كفرخة مذبوحة ..
منتظراً أن يأخذوا أمي
إلى طاولة الولادة ..

14

ولادتي ..
كانت بلا سابقة .

لم يسحب الطبيب رأسي أولاً
و إنما أعطيته أصابعي ..

15

شابت حروف القلب ، يا سيدتي
و شابت الأوراق و الأقلام .
و لم أزل من ألف .. ألف عام
في غرفة الولادة ..
منتظراً ولادتي الأخرى ، على يديك ..
منتظراً .. أن تفتحي الأقفاص يا سيدتي ..
كي يخرج الحمام ...

لندن - 21 آذار (مارس) 1992

التلميذ

1

تورطتُ في الحب ، خمسين عاماً
ولا زلت أجهل ماذا يدور برأس النساء
و كيف يفكرن ..

كيف يخططن ..
كيف يرتبن أشياءهن ..
و كيف يدربن أثداءهن ..

على الكر ، و الفر ..
و الغزو ، والسلب ..
و السلم ، و الحرب ..

والموت في ساحة الكبرياء

2

قرأتُ كتاب الأنوثة ،

حرفاً فحرفاً.
و لم أتعلم - إلى الآن -

شيئاً من الأبجدية.

ولا زلت أشعر أني أحبك

في زمن الجاهلية ..
وألثم حناء شعرك

بالطرق الجاهلية
و لا زلت أشعر أن الهوى في بلاد العروبة
ليس سوى غزوةً جاهلية !! .

3

قضيتُ بشارع نهديك ..

نصف حياتي
وما زلتُ أجهل من أين باب الخروج ؟

وأين نـهايات هذا الفضاء ؟
وما زلتُ أجهل كيف يهدد نـهد
بسن الطفولـة
أمن الرجال ..

و أمن السماء !!.

4

تنقلتُ بين قوارير عطرك

خمسين عاماً
وبين بساتين شعرك

خمسين عاماً
وبين تقاسيم خصرك

خمسين عاماً
و ما زلت أجهل كيف أفك حروف الـهجاء ؟
وكيف أفك الضفائر ..
كيف أشيل الدبابيس منـها
إذا ساعة الحسم دقت ...
وفاضت دموع الشتاء ...

5

تورطت فيك ..

عميقاً .. عميقاً ..
إلى أن وصلت لحال التجلي
وحال التماهي
وحال الحلول
وحال الفناء
و ما زلت أجهل ما الفرق

ما بين رائحة الجسد الأنثوي
و رائحة الكستناء ..

6

دخلت لمدرسة العشق

خمسين عاماً
و منها خرجت بخفي حنين ..
أخذت بدرس التصوف صفراً

و درس التقشف صفراً
و درس الغرام الرومانسي صفراً
و لكنني ...
ما تفوقت إلا بدرس الجنون

7

يطاردني العشق حتى هلاكي
فهل قدري أن أكون الحسين
و هل شفتيك كربلاء
لبستُ النساء عليَّ قميصاً
و كنت أظن قميصي حريرٌ
و حين أتى البرد و الزمهرير
تأكدتُ أني لبست العراء ...

لندن 1992

مـائيـات

1

بعينيك ..

يبدأ تاريخ نـهر الفرات .

ويبدأ حزنـي الجميل الذي

يتكلم سبع لغات..
ويبدأ عشقي العظيم الذي

يتسلق جدران نـهديك مثل النبات ...

ويبدأ عصر من الشعر

تـأخذ فيه القصيدة شكل الصلاة .

وتطلع منك بساتين نـخل .

وتطلع منك نوافير ماء .

ويطلع منك نبيذ ..

وقمح ..

وقطن ..

ومانغو ..

وتطلع من تحت سرتك المعجزات !!

2

بعينيك .

تُفتَح ليلاً ، على الله ،

كل جسور الفرات .

وتأتي قلوع .

وتمضي قلوع .

وبالضوء تغتسل الكائنات .

أحبك .. حتى التناثر

يا امرأة ..

لا تحيط بكل تفاصيلها المفردات ..

أحبك قبل الأنوثة ،

بعد الأنوثة ،

شرق الأنوثة ،

غرب الأنوثة ،
يا امرأة لا أراها

ولكنها في جميع الجهات ..

فلا تخذليني ..

إذا ما طلبت اللجوء إليك .

أنا سمك ..

يتخبط في كحلك العربي

ويبحث عن فرصة للحياة .

3

أنا جالس

تحت أوراق صفصافتين

أراقب كيف تمر الحضارات

من تحت أهدابك المسبلات .

أحبك ..

يا امرأة لا تسمى .

كأنك ..

فوق التشابيه والتسميات .

أنا قاب نهدين منك ..

فأهلاً بياقوتة العمر ،

أهلاً بعصفورة البحر ،

أهلاً بسيدة السيدات .

سلام ..

على ورد قفطانك المغربي

على الخط .. والوشي .. والنمنمات .

سلام على اللازورد ،

على النهوند ،

على ناي خصرك .. إذ تبدأ الدوزنات .

دعيني أنام على كتفيك قليلاً

فإني أحس بأنك أمي

وأنك منفى العصافير والكلمات.

4

سلام على دهشة البرق ،

وهو يسافر بين السواد وبين السواد

سلام على ألف طفل ..

سيأتون منك ..

ويأتون مني ..

أيا امرأة هي كل انتمائي

وكل الخرائط ..

كل البلاد.

5

لأشهد أنك

آخر بيت من الشعر يُروى ،

وآخر مروحة من حرير ،

وآخر طفل بعائلة الياسمين ..

وأشهد أنك تختزلين

طبائع كل الطيور ..

وأسماء كل الزهور

وتاريخ كل النساء ...

6

بعينيك ..

يلعب طفل جميل

يسمونه في بلادي القمر

أسافر ما بين صوت البيانو

وصوت أنوثتك الطاغية ..

وصوت المطر ..

وأدخل في غابة من شموع

فيتبعني حين أمشي الشجر ..

7

لك الشكر ..

يا امرأة علمتني

جنون الهوى

وجنون السفر .

لك الشكر ..

باسم الدراويش والفقراء

فمن قمح نهديك ..

يأكل نصف البشر !!

8

بعينيك ..

تحدث كل الأعاجيب ليلاً

فلا يعرف المرء ماذا سيحدث

عند هبوط المساء ..

ولا يعرف المرء

ماذا تريدين أنت ؟

وماذا تريد السماء ؟

9

بعينيك ..

يبدو التنبؤ صعباً

فقد تشرق الشمس حين تشاء

وقد يهطل الثلج حين يشاء

وقد يصرخ الرعد ، مثل المجانين ،

حين يشاء .

10

بعينيك ..

ليس هناك ثبات لشيء

وليس هناك يقين لشيء

وليس هناك ضمان

لمن يجلسون على نقطة الاستواء..

بعينيك ..

يحدث ألف انقلاب خلال ثوان

فتمحو الظلال الظلالا

ويمحو الجنوب الشمالا

ويلغي الفضاء الفضاء

بعينيك ..

قد يرسل الله مناً وسلوى إلينا

ويظهر في كل يوم لدينا

نبي من الأنبياء ...

لندن 1991

فاطمة في هايد بارك

1

كنت أمشي معها في لندن
باحثاً عن يدها ..
عن صوتها ..
عن خصرها الضائع مني
في ضباب العاصمة .
هي كانت معطفي
مثلما كنت أنا معطفها
في زمان العاصفة ...

2

كنت أمشي معها في لندن
تحت سماء غائمة
باحثاً عن لغة تشبهني .
باحثاً عن قهوة تشربني .
باحثاً عن ملجأ

في ثنايا الخصلات الفاحمة
ليس عندي وطن أقصده
غير عيني فاطمة ...

3

هل أنا أكتب ؟
أم فاطمة تكتبني ؟
إنها جسر من الشعر
على كل العصور القادمة ..

4

كنت أمشي معها في لندن
مثل طفل ذاهل
فلماذا في (هارودز) نسيتني ؟
وهي تدري جيداً
أنني من يوم ميلادي ببحر الحب ضائع
وهي تدري أنني من دونها
لا أقطع الشارع وحدي .
لا ولا أدخل في المعطف وحدي .

لا ولا أعرف أن أرجع للفندق وحدي .
فلماذا تركتني بين أكداس هداياها
وحيداً .. وحزيناً .. كمصابيح الشوارع ؟
و أنا أعبدها من رأسها حتى الأصابع ...

5

هذه فاطمة في (بيكاديللي)
يصنع الكحل بعينها ألوف المعجزات .
كل من شاهدها في جانبي
ظنها صفصافة
تغسل الشعر على نهر الفرات .

6

هذه فاطمة ..
تقتحم التاريخ من كل الجهات
إنها تدخل كالإبرة
في كل تفاصيل حياتي .
آه .. كم تعجبني فاطمة
عندما تجلس كالقطة بين المفردات .

تأكل الفتحة .. والضمة .. في شعري
وتبتل بأمطار دواتي ..

7

خبيئني .. تحت قفطانك
يا أحلى جميع الفاطمات .
لندن باردة جداً
و إني خائف جداً
فنامي في جفوني ، أو جفون الكلمات .
حاولي أن تصبحي أمي
لشهر .. أو ليوم .. أو لبعض اللحظات
سقطت قبعتي الحمراء في الأرض
وضاعت كتبي مني ..
وضاعت أمنياتي .
حاولي .. أن تلديني مرة أخرى
أيا أجمل كل الأمهات
ما الذي يمكن أن أفعله من غير أم ؟
في محطات الشتات ؟؟ .

8

علمتني لندن
أن أحب الورق الأصفر .. واللون الرمادي ..
و أن أهرب من تاريخ عاد وثمود ..
علمتني لندن
أن أرى حريتي دون حدود
ونصوص الشعر من غير حدود
وطقوس الحب من غير حدود
علمتني .. كيف أن امرأة أعشقها
ممكن أن تجعل العالم من غير حدود ...

9

لندن تمطرني ثلجاً
و أبقى باشتهائي بدوياً ..
لندن تمنحني كل الثقافات
و أبقى بجنوني عربياً ..
لندن تمطرني عقلاً
وأبقى فوضوياً ..
فلماذا تكرهين الثلج ، يا سيدتي ؟

وأنا قد أحرق الثلج يديا ..

10

لا يرانا أحد في لندن
فادخلي في اللحم رمحاً وثنيا
واتركي لي أي تذكار جميل
وردة ..
أو قبلة ..
أو طعنة في شفتيا ..

11

مرحباً..
يا أيها الوجه الجنوبي الذي دوخني
مرحباً يا فاطمة .
لم ير الريف البريطاني من قبلك
عينين تقولان كلاماً عربيا ..
فاشربي شيئاً من الغيم معي .
اشربي شيئاً من الحزن معي .
اشربي شيئاً من الشعر معي .

اشربي .. حتى تصيري امرأة ..
واتركي الباقي عليا !! ...

لندن 1990

عندما أعشق أزداد رقياً

1

أنتِ في لندن .. سنجابة حب

تأكل السكر .. والفستق ..

من بين يديا .

عربشت فوق قميصي .

عربشت فوق ضلوعي .

عربشت فوق عروقي .

واختفت في كنزة الصوف التي ألبسها

تجمع المشمش .. والزعتر .. والنعناع .

والعشب الطريا .

2

أنت في منفاي

سنجابة عمري .

وأنا في لندن ، تبهرني حريتي .

جسدي يبهرني .

لغتي تبهرني .

دهشتي تدهشني .

فكأني لم أكن في الذات يوم عربيا

كلما شاهدني الناس صباحاً

خارجاً من تحت أهدابك

ظنوني نبيا !! .

3

إنـها تمطر فرواً

منذ أيام ، فما أحلى المطر ...

إنـها تمطر عشقاً

عن يميـني .. وشمـالـي .

وورائـي .. وأمـامـي .

وأنـا أطفو على

بحر رمـادي الوبر ...

4

من تكونين أيا سيدتي ؟

يا التي تحمل في قفطانـها

عندما تجلس قرب المدفأة

كل تـاريخ الشجر ...

يا التي حبي لـها

أمر من الله ..

وعيناها قضاء وقدر ..

5

أنت سنجاب جبان

خائف من نفسه

خائف من خوفه

خائف من أي شئ في يدي ..

أو في فمي ..

خائف من كل ما لا يُنتظر ...

6

أنت سنجابي الحضاري الذي حررني ،

من صداع الجنس في عصر الحجر .

تاركاً في جسدي

شعراً ..

ونثراً ..

وعصافير ..

وقمحاً ..

وثمر ..

تاركاً في داخلي

نصف قمر ...

7

أنت في لندن

سنجاب رمادي الفراء

جاء كي يبني بصدري وطناً

بعدما حاصره ثلج الشتاء .

نط من أفق إلى أفق ..

ومن غصن إلى غصن ..

ومن نهر إلى رابية

ثم ألقى عند بابي

صرة من كستناء ...

8

أنتِ سنجابي الذي دوخني

ورماني خاتماً

في جوارير النساء ...

9

قطتي .

عصفورتي .

سنجابتي .

يا التي أرسلها الله من الغيب إليا

أنا ما عندي اعتراض أبداً

فاقضمي وجه المخدات ، إذا شئت ..

اقضميني حبة من بندق

إن توحمت ..

اجعليني بين أشيائك

قرطاً ذهبيا ...

10

العبي بالوقت ، والأعصاب ، يا سيدتي ،

غيري شعري .. ونثري ..

وجذوري .. وسلالاتي ..

وغوصي خنجراً في رئتيا ..

أدخلي تحت قميصي ..

أدخلي تحت شرايين يدي ..

أدخلي في لغتي

أدخلي في اللحم والأعصاب

سيفاً أمويا ..

واغسليني بينابيعك .. إني

لم أكن قبلك إلا بدويا ...

11

حرريني ..

من أبي زيد الهلالي الذي يسكنني

ومن الرمل الذي يطمرني

ومن الشوك الذي كان يغطي شفتيا .

ارفعيني لفضاءاتك ، يا سيدتي

وانزعي عني قناعي الجاهليا

علميني ..

كيف بالذهن تُشم امرأة

كيف يغدو الجنس ترتيلاً .. وإنشادا ..

ورسماً بالأحاسيس ..

وجسراً قمريا !! .

كل حب

هو ـ يا سيدتي ـ فِعل رُقي

فأحبيني ..

أحبيني ..

أحبيني ..

لأزداد رُقيا !! ..

لندن 1993

أنا رجل واحد وأنت قبيلة من النساء

1

حبك .. إشكالية كبرى
إشكالية جسدية .
وإشكالية لغوية .
وإشكالية ثقافية .
فذراعي قصيرة
وأغصانك مثقلة بالفاكهة ...
وأجنحتي مكسورة
وسماواتك مَدرُوزة بالعصافير ..
ومفرداتي محدودة
وجسدك أكاديمية ملكية
تختزن الشعر
وتبتكر اللغات ..

2

معك ..
لا توجد أنصاف حلول .
و لا أنصاف مواقف .
ولا أنصاف أحاسيس .
كل شيء معك ..
يكون زلزالاً أو لا يكون ..
وكل يوم معك ..
يكون انقلاباً أو لا يكون ..
وكل قبلة على فمك
تكون جهنماً ..
أو لا تكون !!...

3

هكذا أنا ..
منذ احترفت الحب
واحترفت الكتابة .
لا قصيدة تخرج من بين أصابعي
إلا وهي ساخنة كرغيف الخبز .

ولا امرأة أضع عليها يدي
إلا وتحمل في بطنها
خمسين قمراً ...

4

معك ..
لا يوجد طقس معتدل
ولا هدنة طويلة
ولا حياد مطلق .
فالحياد مع امرأة مثلك
معجونة بلوزها .. وعسلها ..
وحليب أنوثتها ..
وموسيقى أمشاطها ، وخواتمها ..
ترف ثقافي لا أقدر عليه
وتنازل سخيف
عن صهيل رجولتي !!.

5

معك ..
لا يوجد للحب سيناريو واحد .
ولا للجنس أسلوب واحد .
و لا للذكور رائحة واحدة .
وإنما حروبٌ عبثية لا ينتصر فيها أحد .
تتكسر فيها الأساور على الأساور ..
والأقراط على الأقراط ..
والأمشاط على الأمشاط ..
وقصائدي ..
على قمة نهدك المغطى بالثلوج ...

6

معك ..
لا يوجد خط مستقيم .
ولا صراط مستقيم .
فأنت عمل تجريدي غامض
يختلط فيه الأحمر .. بالأزرق ..
بالبرتقالي ..

والشعر .. بالنثر ..
بالنظام .. بالفوضى ..
بالحضارة .. بالتوحش ..
بالوجودية .. بالصوفية ...

7

معك ..
يولد الرجل بالمصادفة
ويموت بالمصادفة !!

8

كيف يمكنني
أن أهادن زلزالاً ..
أو طوفاناً
أو غابة إفريقية مشتعلة ؟
كيف يمكنني أن أصالح نحلة
تخطط لارتشاف دمي ؟ .

9

كيف يمكنني
أن أتفاهم مع جسدك
وهو لا يعرف إلا لغته ؟

10

كيف يمكنني أن أربح المعركة ؟
و أنا رجل واحد ..
و أنت قبيلة من النساء ؟؟

11

معك ..
تتداخل الأزمنة ببعضها .
و الأمكنة ببعضها .
ونصوص الشعر ببعضها .
فلا أعرف من أين ؟

ولا أعرف إلى أين ؟
ولا يعنيني أبداً أن أستشير النجوم
أو أن أقرأ الخرائط .
فالعاشق الكبير
هو الذي يرمي نفسه في بحر العشق
بلا بوصلة ..
ولا خريطة ..
ولا شهادة تأمين ..

12

ليس لديَّ مهنة أخرى
في هذا العالم
سوى أن أحبك ..
ولو حدث أن توقفتُ
عن ممارسة هذا الجنون الجميل
لأصبحتُ عاطلاً عن العمل !!

13

إن الحب عندي
هو غريزة ولادية
وليس أبداً عادة مكتسبة ،
أو طبيعة ثانية ..
فإذا رأيتِني ذات صباح
أتسلق كدودة القز
على أشجار نهديك ..
فاعلمي ، أن صناعة الحرير
هي جزء لا يتجزأ
من تراثي الدمشقي ..

14

لم أعد يا حبيبتي
قادراً على العشق بالتقسيط ..
ومزمزة شفتيك بالتقسيط ..
وتقشير تفاح يديك .. بالتقسيط ..
أنا اليوم ، رجل براغماتي
أؤمن أن المرأة النائمة في راحة يدي

خير من عشر نساء على الشجرة ..
و أن الحوار مع جسد أفروديت
أهم من الحوار مع جميع الملائكة !! .

15

يا سيدتي :
اسمحي لي أن أمارس طفولتي قليلاً
وأضع النقاط على حروف علاقتنا .
فأنا منذ أن نزلت من بطن القصيدة ..
لا أؤمن بالأمور الوسط .
لا في الحب .. ولا في الكتابة .. ولا في مغازلة النساء ..
إن البراغماتية في الحب ، هي عقيدتي .
و أرفض الحكمة المأثورة التي تقول :
(أجِّل عشق اليوم ، إلى نهار غد).
كيف يمكنني أن أؤجل امرأة أحبها
إلى يوم آخر ؟
إلى شهر آخر ؟
إلى عام آخر ؟
إلى عصر آخر ؟
إلى إشعار آخر ؟
فالعيون الكبيرة لا تؤجل ..

و الأمطار الاستوائية لا تؤجل ..
والعواصف الرعدية لا تؤجل ..
والقصائد الاستثنائية ..
لا تكتب إلا مرة واحدة ...

لندن 1993

سأدرس حتى أحبك .. عشر لغات..

1

أحبك جداً ..
و أعرف أن الكلام القديم انتهى ..
و أن عليَّ الذهاب
إلى ما وراء الكلام ..
و أعرف ..
أن حمام الطفولة طار بعيداً
ولم يبق عندي من القمح
ما يستثير فضول الحمام ..
فلا أنت مثل جميع النساء ..
ولا أنا .. ممن يقولون في الحب
أي كلام ...

2

أحبك جداً ..

و أعرف أني وصلت
إلى حائط اللغة المستحيلة ..
و أشعر أن العبارة ضاقت عليك .
و أن الثقافة ضاقت عليك .
و أن البلاغة تلهث حول استدارة خصرك ..
والشعر .. والنثر .. والمفردات .

3

أيا امرأة ..
تتحدى جميع نصوصي ..
و أحتاج ـ حتى أكون على مستواها ـ
إلى عشرات اللغات ...

4

أحبك جداً ..
و أعرف أن الأنوثة برق ..
و أن القصيدة برق ..
و أن النساء الجميلات .. برق
و أن البروق العظيمة ..

لا تستعاد ..

5

أحبك جداً ..
وأشعر في رغبة للخروج
على كل عاداتنا السابقة ..
وتغيير أسمائنا السابقة ..
فهل من سبيل
لتحديث هذا الغرام ؟ .

6

وهل من سبيل ؟
لتغيير جلدي ... وجلدك ؟
صوتي .. وصوتك ؟
عمري .. وعمرك ؟
هل من سبيل ؟
لتغيير لون الشراشف ؟
لون المناشف ؟
لون العواطف ؟

ما بين حين وحين .
وتغيير شكل كؤوس النبيذ ..
وشكل أواني الطعام ؟؟

7

أحبك جداً ..
و أعرف أن طريقة عشقي ..
صارت عتيقة ..
و أن شرايين قلبي ..
صارت عتيقة ..
وزرقة عيني صارت عتيقة
و أن وصول بريدي إليك ..
و إرسال ورد جميل لبيتك
صار طقوساً عتيقة !!

8

أحبك جداً ..
و أعرف أنك آخر لحظة شعر..
و آخر قطرة حبر ..

و آخر زنبقة فوق سور الحديقة
و أشعر في لحظات الحنان المفاجئ
أنك أمي ..
و لو كان لي أن أميز
بين الصداقة والحب ،
لاخترت فيك الصديقة ...

9

أحبك جداً ..
و أعرف أن العلاقة بين النساء وبيني
مقررة من ألوف السنين .
و أن أهم محطات عمري
مطرزة بخيوط (الداماسكو) ..
وذاكرة القطن .. و (المُوسَلين) ..
فلا تتعري أمامي .. بغير اكتراث
فإني أواجه قشطة نهديك عند الصباح
كأني أواجه جيشاً من الياسمين !!

10

أنا منذ خمسين عاماً .
أحاول تأسيس مملكة للنساء ..
يثرثرن فيها ..
و يرقصن فيها ..
و يعشقن فيها ..
و يغسلن أقدامهن بماء الحنين .

11

و ها أنذا راقد في فراشي
فلا من ممرضة أسعفتني .
ولا من دمشقية قبلتني ..
ولا من عراقية دللتني ...
ولا من رفيق ..
ولا من أنيس ..
ولا من معين ..

12

أحبك جداً ..
و أعرف أن جواز المرور
المُوَقــَّع منك ..
سيفتح باب السماء أمامي .
ويدخلني جنة المؤمنين ..

13

أحبك جداً ..
و أحلم أن تدهشيني بثوب جديد ..
وعطر جديد .. ورأي جديد ..
و أحلم أن تمطريني
بنهر طويل .. طويل من الأسئلة ..
و أحلم أن تطلعي من قماش الوسادة كالسنبلة ..
أحبك جدا ..
و أعرف أنك لا تعرفين ..
و تلك هي المسألة !!

14

أيا وردة البحر ، والضوء ، والشمس ، والعافية ..
يضايقني أن تديري شريطاً قديماً
يضم قصائدي الماضية ..
لماذا الحنين إلى رجل آخر ؟
وإني أمامك يا غالية .
وماذا تهمك أسماء كل الزهور ؟
و أنت البنفسجة الباقية .

15

أنا يا صديقة ..
أكره صوتي المسجل فوق شريط
وأكره شِعري الذي يتناثر بين الخليج و بين المحيط
كنهر الرماد ..
فأرجوك .. لا تجعلي من حياتي أسطوانة ..
ولا تذبحيني بسكين صوتي
فإني تعبتُ كثيراً .. بهذا الشريط المُعاد ...

16

غداً تعلمين ..
غداً تعلمين ..
بأن الرجال أحبوك ..
- بعد قراءة شعري -
و أني ما كنت في لعبة الحب وحدي
ولكنني كنت حزباً كبيراً من العاشقين ...

لندن 1993

اختزال

1

لأني أحبك ..
أصبحتِ واحدة من أهم النساء ..
وأسستِ عصراً جديداً .
و ديناً جديداً .
و أصبحتِ في كتب الشعر محفوظة
و في كتب الأنبياء ...

2

لأني أحبك ..
أصبحتِ ثامنة المعجزات
و كنز الكنوز ..
و سيدة السيدات ..

و أصبح خصرك معزوفة
من مقام البيات ..

3

لأني أحبك ..
أصبحتِ مخزونة في تراث الشعوب
و مقروءة في جميع اللغات .

لأني أحبك ..

صرتِ كنيسة حبي
و أصبحتُ أعرف عن ظهر قلب
طقوس الصلاة ..

4

لأني أحبك ..
يغدو السواد بعينيك ، عند اللقاء
أشد سواداً ..
وتغدو يداي طيوراً
و يغدو حنيني بلاداً .
وأعرف أني إذا ما دخلتُ مغارة نهديك يوماً
أصير رماداً ...

5

لأني أحبك ..

يمتلئ البحر قمحاً
ويشتعل الأفق بالنار و الأرجوان
و تبدو شفاهك من غير عمر
وتبدو هضابك من غير عمر ..

وتبدو استدارة خصرك من غير عمر ..
فأخلط بين العصور وبين الثواني ...

6

ليدهشني فيك ..
أنك لا تكبرين ..
ولا تذبلين ..
ولا تنحنين ، كما شجر السنديان ..
و يذهلني ..

أن نهديك لا يتعبان ..
و لا يلقيان السلاح ..
و لا يخشيان مرور الزمان ..

7

لأني أحبك
أرسلتُ روحي إليك
فأنجبتِ مني هلالاً
وأنجبتِ مني غزالاً
وأنجبتِ مني طيوراً
وديوان شعر ..
وأنهار ماء ...

8

أيا امرأة ..
يتلاقى الحمام الدمشقي فوق مياه يديها .
و يبدأ فصل السفرجل ..
و الخوخ .. و التين ..
من شفتيها ..

يعقدني فيك هذا الهدوء الملوكي
هذا الجبين الرسولي
هذا الحضور الحضاري
هذا المزيج العجيب
من الماء ، و النار ، و الكبرياء ...

9

لأني أحبك ..
أشعر أني تحررتُ من كل شيء
و مزقت رسمي القديم
و ألغيت اسمي القديم
و بعثرت أوراق جنسيتي في الهواء
لأني أحبك ..

أدركت أبعاد حريتي
و أدركت سر العلاقة
بين اكتشاف العيون ،
وبين اكتشاف الفضاء ..

10

لأني أحبك .. أصبحت مكتفياً باكتفائي .
ومقتنعاً أن حبك أعظم حزب دخلتُ إليه ..
وأرحم صدر لجأتُ إليه ..
وأحلى انتماء ..
فماذا تفيد الخيانة ؟
حيث تكونين أنتِ السماء ..
وما قد يكون وراء السماء ..
وماذا يفيد التنقل بين الخواتم من كل لون ..
وبين المليحات من كل جنس ..
وبين الجواري ، وبين الإماء ؟ ..
وماذا يفيد التسكع شرقاً .. وغرباً ؟ .
وأنتِ جمعت رحيق الحضارات فيك .
وأنت اختزلت جميع النساء ...

لندن 1991

عشرون محاولة لتشكيل امرأة

1

حان الوقت
لأعيد صياغتك على طريقتي
بحبر جديد .
وخط جديد .
وتنقيط جديد .
حان الوقت كي أكتبك كما أريد .
فجميع من كتبوك قبلي
كانوا يجهلون مبادئ الكتابة .
و جميع من قرأوك قبلي
كانوا يجهلون قراءة النساء ..
وتهجية أحرف الأنوثة ...

2

حان الوقت
لأغير هندسة خصرك ..
و أحجار خواتمك ..
ومكان الشامات على كتفيك ..
و أفصلك على مساحة قصائدي
ومساحة جنوني ..

3

حان الوقت
لأنحتك بأسلوبي (النزاري) ..
فأجعل هضابك تتحرك ..
وبحارك تتموج ..
و سرتك الخرساء .. تتكلم ..
ونهديك ..
يقرعان كجرسين نحاسيين
صبيحة يوم الأحد !!

4

حان الوقت
لأعلمك شيئاً من الجغرافيا .
وشيئاً من الموسيقى .
وشيئاً من الشعر ..
فجميع من تجولوا في قاراتك الخمس ..
لم يعرفوا الطريق إلى مناجمك الذهبية ..
وقبابك الفاطمية ..
و أيقوناتك البيزنطية ...

5

حان الوقت
لأطلعك على خرائط أنوثتك ..
و أدلك ..
على السهول التي يزرعون فيها القطن ..
والوديان التي يتكاثر فيها الصفصاف ..
والهضاب التي يتسلق عليها العنب ..
والشواطئ التي تتزوج فيها الأسماك ..
والعناوين السرية التي تسكن فيها

حوريات البحر ..

6

حان الوقت
لتعرفي شيئاً عن أسماء نباتاتك
وطول أنـهارك .
ورائحة أزهارك .
وعدد حمائمك .
ومواسم لوزك .. وخوخك ..
وسفرجلك الجبلي .
وتوقيت مدك وجزرك
ومواعيد أمطارك الاستوائية ..

7

حان الوقت
لتعرفي شيئاً عن العصر البرونزي .
والفن الفلورنسي .
والكريستال التشيكي.

و الخزف الصيني .
والغزَل العربي .
حان الوقت لتعرفي
إلى أي عصر من هذه العصور الباهرة
ينتمي جسدك الجميل ؟..

8

حان الوقت
كي أمحو خطوط ذاكرتك
وأحرق جميع المراكب
التي جئتِ بها من العصور الوسطى
فليس وراءك سوى البحر ..
وليس أمامك ..
سوى ذراعيَّ المفتوحتين ...

9

حان الوقت
لأمارس عليك سحري
فتزداد أصابعك طولاً .

ويزداد خصرك نحولاً.
وتزداد عيناك اتساعاً .
ويزداد شَعرك حماقة .. وفوضى ..
وخروجاً على القانون ..

10

حان لي ..
أن أمد على شرفتك
حبال قصائدي
وأخطفك ـ كما يفعل الشراكسة ـ
على حصان الشعر ...

11

حان الوقت
لتخرجي من قنباز أبيك ..
ومن صندوق أمك المطعم بالصدف ..
فلم يعد مسموحاً لكِ أن تظلي
حكمة مأثورة موضوعة في برواز
أو سمكة للزينة في أكواريوم

أو ثوباً معلقاً
في متحف التقاليد الشعبية !! .

12

حان الوقت
كي أعجنك بالمسك ، والقرفة ،
والزعفران
و أخلطك بالسكر ، والعسل ،
وحليب العصافير ..
حان الوقت كي أعجنك
بلحمي ، وأعصابي ،
وصراخي ، ونزيفي ،
ومشتقات دمي ..

13

حان الوقت
كي تخرجي من سجن النساء
الذي تقضين به

عقوبة (الأنوثة المؤبدة) !!

14

حان الوقت
لتكسري غلاف شرنقتك
وتغزلي
أول خيط من خيوط الحرية ..
حان الوقت لتأخذي
شكل الموجة ..
أو شكل السهم الناري ..
أو شكل السنجابة ..
أو القطة المتوحشة ..

15

حان الوقت
لكي أنقذك من حلقات الدراويش ..
وقرقرة النراجيل ..
وأباريق القهوة المُرَّة ..
و رائحة البخور الهندي ..

وخلاخيل الراقصات ..
وطوابير النساء المنتظِرات
أمام فراش شهريار ...

16

حان الوقت
لأغير هويتك القديمة
وأنقلك من خانة المرأة المعلبة
إلى خانة (التوليب) ..
و (الغاردينيا) ..

17

حان الوقت
لتتحولي من سجادة تبريزية
تداس بالدنانير .. والنعال ..
إلى جزيرة من الضوء و الكبرياء
لا تصل إليها طيور البحر
ولا مراكب القراصنة ...

18

أريد أن أخلصك
من مضاجعة الخلفاء غير الراشدين ...
ابتداء من الحاكم بأمر الله ..
إلى الحاكم بأمر النهد ..
إلى المقتدر ..
إلى المنتصر ..
إلى المتوكل ..
إلى المعتصم بزنانير النساء ..
حتى آخر امرأة
دون السادسة عشرة !! ..

19

أريد أن أسحبك كالتفاحة
من بين تماسيح البحر الأحمر ..
وحيوانات (كليلة و دمنة) !!

20

أريد أن أنقذك
من ديناصورات ما قبل التاريخ
التي هربت من متحف التاريخ الطبيعي
ودخلت المدن العربية
لتقرقش عظام النساء كقطع البسكويت
وتشرب دماءهن كالعرق اللبناني
أريد أن أنقذك
من (جمعية الجزارين المتحدة)
التي يرأس مجلس إدارتها
المدعو : عبد السرير النسونجي !!

لندن 1992

أحبكِ .. وأقفل القوس

1

لا أستطيع أن أحبك أكثر ..
لقد كتبتك بالخط الكوفي
على أساور الحَمَام
و أباريق النحاس الدمشقي
وقناديل السيدة زينب
وجوامع الآستانة
وقباب غرناطة
وعلى الصفحة الأولى من نشيد الإنشاد .
وأقفلت القوس ...

2

أنت عادة كتابية لا شفاء منها .
عادة احتلال ، وتملك ، واستيطان .
عادة فتح ، وفتك ، وبربرية .
أنت عادة مُشَرِّشَة في لحم كلماتي .
فإما أن تسافري أنت ..
وإما أن أسافر أنا..
و إما أن تسافر الكتابة ..

3

جمالك ..
يحرض ذاكرتي الثقافية .
ويكهرب كل شيء ..
يكهرب لغتي ..
و أصابعي ..
وجسد الورقة البيضاء ..

4

جمالك ..
يشعل البروق في أثاث غرفتي
وشراشف سريري ..
ويربط أسلاك الرجولة
بيني وبين نون النسوة ..
و تاءات التأنيث ..
فكيف أتحاشاك يا امرأة ..
حتى القبح إذا اقترب منك
يصبح جميلاً ..

5

أنت اللغة التي
يتغير عدد أحرفها ، كل يوم .
وتتغير جذورها ..
ومشتقاتها ..
وطريقة إعرابها..

كل يوم ...

6

أنت الكتابة السرية
التي لا يعرفها
إلا الراسخون في العشق ..
أنت الكلام الذي يغير في كل لحظة
كلامه ...

7

كل نهار ،
أتعلمك عن ظهر قلب .
أتعلم خرائط أنوثتك ..
وسيراميك خصرك ..
وموسيقى يديك ..
وجميع أسمائك الحسنى
عن ظهر قلب ...

8

كل صباح أدرسك
كما أدرس تفاصيل الوردة ..
ورقة .. ورقة ..
تويجاً ... تويجاً ..
وأذاكرك كما أذاكر
كونشيرتو البيانو لموزارت
أو قصيدة غزل
من العصر العباسي ...

9

أيتها المرأة المجنونة بأنوثتها
كفطيرة العسل .
و المعجونة بدم قصائدي
ودم شهواتي .
يا امرأة الدهشة المستمرة
يا التي بداياتها تلغي نهاياتها
وأولها يلغي آخرها ..
وشفتها السفلى

تأكل شفتها العليا..

10

أيتها المرأة
التي تتركني معلقاً
بين الهاوية والهاوية ..
أيتها المرأة ـ المأزق
أيتها المرأة ـ الدراما
أيتها المرأة ـ الجنون
أخاف أن أحبك ..

لندن 1992

لا تاريخ قبل عينيك

1

عندما كنت أسكن في جنيف
لم تكن تبهرني الساعات السويسرية
المطعمة بالحجارة الكريمة .
ولم أكن معجباً باللافتات التي تقول :
((نحن نصنع الزمن)) .
متى يعرف صانعو الساعات ، يا حبيبتي
أن عينيك وحدهما
هما اللتان تصنعان الوقت
وترسمان خرائط الزمن ؟ ..

2

عندما كنت أذهب إلى موعدك
في لندن ،

أو في باريس ،
أو في البندقية ،
أو على شواطئ البحر الكاريبي .
لم يكن للوقت شكل ..
ولا للأيام أسماء ..
ولا للتاريخ تاريخ ..
كان التاريخ مجرد ورقة بيضاء
تكتبين فيها أي كلام تشائين ..
في الوقت الذي تشائين ...

3

عندما كنت ألبس معطف المطر
وألبسك تحت معطف المطر ..
كان الوقت يتشكل على مقاييس أنوثتك .
فمرة ، يأخذ شكل قدميك الصغيرتين ..
ومرة ، شكل أصابعك المشغولة بالدانتيلا ..
ومرة ، شكل خواتمك ..
ومرة ، شكل حلقك الإسباني ..
ومرة ، يأخذ شكل دهشتي
وحجم جنوني ...

4

قبل أن تصبحي حبيبتي
كان هناك أكثر من تقويم
لحساب الزمن ..
كان للهنود تقويمهم .
وللصينيين تقويمهم .
وللفرس تقويمهم .
وللمصريين تقويمهم .

5

بعد أن صرت حبيبتي ..
صار الناس يقولون :
السنة الألف (قبل) عينيها ..
والقرن العاشر
(بعد) عينيها !!.

6

لا يهمني
أن أعرف ما هي الساعة في نيويورك
ولا ما هي الساعة في طوكيو
أو في تايلاند .
أو في طاشقند .
أو في جزر الكناري .
فعندما أكون معك ..
ينعجن الزمن ببعضه
وينعجن صلصالي
بحرارة مناطقك الاستوائية ...

7

لا أريد

أن أعرف شيئاً عن تاريخ ولادتك ،
ولا عن مكان ولادتك ،
ولا عن تفاصيل طفولتك ..

ومراهقتك ..
فأنت امرأة من فصيلة الورود
و أنا لا أسمح لنفسي
بالتدخل في تاريخ حياة وردة ...

8

علمتني شتاءات لندن
أن أحب مشتقات اللون الأصفر
وأن أتحمس لشحوبك الجميل
وهدوئك الجميل ..
ودشداشتك المغربية السوداء ..
وعينيك المسكونتين
بأسئلة الشعر ...

9

في شتاءات لندن
يصير صوتك رمادياً ..
وكلامي رمادياً ..

وبريد الحب رمادياً ...

10

لماذا ؟
إذا التصقت يداي بيديك
يوم الأحد .
تقرع على الفور
أجراس جميع الكنائس في العالم ؟؟

11

لا يمكن توقيتك ..
أو تعريفك ..
أو تصنيفك ..
أو تصويرك كباقي النساء
أنت فراشة خرافية
تطير خارج الأزمنة ...

12

كل الساعات الثمينة
التي اقتنيتها قبل أن أحبك
توقفت عن العمل
ولم يبق في يدي
إلا ساعة حبك !! .

لندن 1990

لماذا تـنامين وحدك ؟

1

إذا كانت الـقطة تـنام قرب المدفأة .
والحمامة تـنام إلى جانب أولادها .
والتلميذة تـنام فوق حقيـبتها المدرسية
والقصيدة تـنام على أي رصيف
في شوارع الحرية .
فلماذا تـشدين الغطاء عن جسدي
وتـنامين وحدك ؟؟ ..

2

إذا كان إفطار الصباح
في فنادق باريس
يأتي من أجل شخصين
وجرائد الصباح
توضع تحت الباب ، من أجل قارئين ..
فلماذا تُـفطرين وحدك ؟

وتقرأين الجرائد وحدك ؟
لماذا تجلسين على الطرف الآخر
من الكرة الأرضية ؟
وتمارسين الحب مع الملائكة ؟ ..

3

إذا كانت مظلة المطر

تكفي لرأسين ..
ومقاهي (سان جرمان) تكفي لمتسكعين ..
وقطعة (الروكفور) تكفي لعصفورين ..
إذا كان بإمكاننا
أن نقسم رغيف (الباغيت) إلى نصفين ..
وزجاجة النبيذ إلى نصفين ..

والقبلة إلى نصفين ..
فلماذا تحتكرين الخبز .. والجبنة .. والنبيذ..
وتأكلين شفتيك ؟

4

إذا كانت العصافير
تطير في تشكيلات جماعية ..
والبط يسبح في تشكيلات جماعية ..
وراقصات الباليه
يتحركن في تـشكيلات جماعية ..
فلماذا ترقصين وحدك ؟
وتأخذين حمامك الصباحي وحدك ؟
وتعزفين عزفاً منـفرداً
على رخام جسدك الإغريقي ؟؟

5

إذا كان دمي أصبح من فصيلة دمك ..
وفمي أخذ شكل فمـك ..
وكلماتي تطلع كالسنابل من بـين أصابعك
إذا كانـت لغتي مفصلة على مقايـيس أنوثـتـك
وأحلامي تتطابق مع ألـوان سريـرك ..
فلماذا تـنـامين وحدك ؟

6

إذا كانت عباءة الليل
تتسع لعاشقين ..
ودفاتر الشعر

تتسع لخربشات مجنونين ..
وثديُ الحرية

يكفي لإرضاع طفلين ..
إذا كانت كافيتيـريات العالم
أصبحت الوطن القومي لعرب (الـدياسـبورا) ..
فلماذا تجلسين في المقهى وحيدة ؟
وتطـلبيـن فنجـانـاً من القهوة
يأتيكِ في القرن الواحد والعشرين ؟؟

7

إذا كانت القصيدة هي امرأة ..
واللغة هي امرأة ..
الثـقـافــة ، والحضارة ، والموسيقى
هي امرأة ..

والـقـمـر لا يتـكور إلا في أحشاء امرأة ..
فـماذا سوف يحدث ؟
إذا رفعت يديـك عن العـالم ؟
وقطعت عنـه مياه أنوثـتـك ..
ورطوبة بساتـيـنـك ..
وتركته يـتخبـط كثـور هـائـج
فوق رمـال ذكـورتــه ؟؟

8

إذا كنت أول النساء .. وآخرهن ..
وكان الشعر يبتدىء من بروكار خصرك ..
وينتهي عند سيراميك قدميك .
إذا كانت مئات العصافير
تطلب اللجوء السياسي
إلى سرتك المرسومة بالحبر الصيني ..
ومئات الأسماك
تطلب الهجرة إلى مياهك الدافئة ..
فلماذا تضطهدين عصافير العالم الثالث ؟
وتخالفين شريعة حقوق الإنسان
وتنامين وحدك ؟؟

9

في هذه البلاد الشمالية
يتجمد الكلام قبل أن أقوله .
وتتجمد الكتابة قبل أن أكتبها .
وتتجمد شفتاك قبل أن أصل إليهما ..
فأضطر إلى كسر الصقيع عن لغتي
حتى تفهميني ..
وأقوم بجرف الثلوج عن نهديك
حتى أعرف أين هما ؟؟

10

إنني لم أسافر أبداً إلى سيبيريا
ولا جربت عشق السيبيريات ..
إنني بدوي مئة بالمئة ..
جنوبي مئة بالمئة ..
دمشقي مئة بالمئة ..
فإذا كنت تعرفين تراثي ،
وجذوري ،
وسلالاتي .
وإذا كنت مهتمةً

بتـاريخ الـفتوحات الأمـويـة
فلمـاذا تـنـامين وحـدك ؟؟

لندن - شتاء 1992

الموجز فى بلاغة النساء

1

لو تسكتين ..
لو تسكتين دقيقة ..
لو تسكتين ..
هذا الشريط سمعته ،

وحفظته ،
فتوقفي عن عزفه
من أجل رب العالمين .

2

أعطي لجسمك فرصة

ليقول أي قصيدة
غزلية يختارها ..

أو أي بيت شاء
من شعر الحنين .

3

أعطي لوجهك فرصة
حتى يدوخني بفتنته ..
ويغسلني بفضته
ويقرأ لي مساء
ما تيسر من كتاب الياسمين ...

4

أعطي لشعرك فرصة
ليدور حول الأرض ..
أو حولي ..
ملايين السنين ..

5

أعطي لعطرك فرصة
حتى يعبر عن مشاعره
بكل شجاعة ..
وتطرف ..
فالعطر مفتاح اليقين .

6

أعطي لثغرك فرصة
حتى يقدم مشمشاً ..
وسفرجلاً ..

وسلال ليمون
لكل الجائعين ...

7

أعطي لنهدك فرصة
حتى يحطم قيده
ويقود جيش الثائرين ..

8

أعطي لخصرك فرصة
حتى يثقفني ..
ويصقلني
ويشعرني بأني أنتمي
لحضارة المتحضرين ..

9

لو تسكتين ..
لو تسكتين دقيقة ..
لو تسكتين ..
كل اللغات ، سوى الأنوثة ، كذبة
كل البلاغة كذبة .
كل الفصاحة كذبة .
كل الخطابة فى سرير الحب ،
وقت ضائع ..
ومهانة للعاشقين ...

10

خلي فصاحتكِ القديمة ، جانباً
كل الكلام الفلسفي .. نسيته
إلا كلام الياسمين !!

لندن 1992

حب 1993

1

أجرك إلى بحري
كسمكة قزحية الألوان
و أعرف أنك تخافين ملامسة الماء
و السباحة باتجاه المجهول .

2

أرفع نـهدك عند الفجر
شراعاً من الفضة ..
و أكتشف أمريكا
قبل كريستوف كولومبوس ..
و أدخل الأندلس
قبل عبد الرحمن الداخل ...

3

أدربك ...
على أن تحبيني .
و أعرف أنني أشعل النار
في غلاف الكرة الأرضية ..

4

أنفخ على حلمتيك الخائفتين ..
فتتحولا إلى راقصتي باليه ..
و أرش شفتك السفلى بالشِعر
فتحمل كشجرة كرز ...

5

أجرك معي ..
من هاوية العشق
إلى هاوية الشعر
إلى هاوية الهاوية ...
و أعجنك بقلقي .. وتطرفي .. وجنوني ..
وقصائدي السيئة السمعة ...

6

أجرك ..
من تاريخك الذي لا تاريخ له ..
ومن جسدك الذي فقد ذاكرته
و أصنع لك وسادة من أعشاب البحر
وقهوة إيطالية طيبة ..
وأقرأ لك طوال الليل
شيئاً من شعر سافو

و شيئاً من نشيد الإنشاد ...

7

أجرك .. مئة سنة .
ألف سنة .
مليون سنة .
من بيروت .. إلى سنغافورة
ومن الإسكندرية .. إلى ساحل العاج
ومن قرطاج .. إلى هونكونغ
ومن أرواد .. إلى هونولولو
و أتشبث بشعرك الطويل
خصلة خصلة ..
بوصة بوصة ..
مخافة أن تنزلقي من بين أصابعي
وتقعي في أيدي القراصنة ...

8

ألغي أسماءك الأولى
وأعطيك اسم الوردة
ألغي موسيقى الشعر
و أعزف على الزغب الطفولي
الذي يطرز براريك
فيتحول إلى أسلاك من الذهب ...

9

في الصيف أجرك ..
وفي الشتاء أجرك ..
و في الصحو أجرك ..
و في العاصفة أجرك ..
حتى تدمى يداي ..
ويحرق ملح البحر جبيني ...

10

أشدك إلى صدري كلؤلؤة نادرة
و أبحر بك :
من جزر الكناري .. إلى جزر القمر
ومن شموس ماربيا .. إلى ياسمين الشام
ومن بحر الصين .. إلى بحر دموعي
ومن سواحل المرجان .. إلى سواحل الأحزان
وأتجنب الدخول إلى أسواق اللؤلؤ ..
حتى لا يسرقك التجار
من حقيبة يدي ...

11

أشيلك ..
يوماً على كتفي ..
ويوماً ، على كتف كلماتي .
ويوماً ، على كتف الفضيحة ...

و أدخل معك المقاهي التي لا يعرفها أحد ..
و أعطيك عناويني السرية
التي لم أعطها لأحد ..
و أرسم نهديك بالزيت و الأكواريل
كما لم يرسمها أحد ...

12

ضد حركة التاريخ .. أجرك ..
وضد قوانين الحب العربية .. أجرك ..
وضد مؤسسات تعليب النساء ... أجرك ..
وضد المعلقات العشر .
و ألفية بن مالك .
وتغريبة بني هلال .
أجرك ..
وضد سلاطين آل عثمان .
وضد النراجيل والمسابح .
وسماورات الشاي .
و الحمامات التركية .
و الحرملك . والسلاملك .
و مناديل ليلة (الدخلة) الحمراء ...

13

أيتها السمكة المغسولة
بألوان قوس قزح ..
و المنقطة بالذهب و الفضة ..
اسبحي حيث تشائين
في ماء عيوني .. أو في دم قصائدي
في شبكتي العصبية .. أو في دورتي الدموية ..
ولكن إياك أن تبتعدي عن شواطئ صدري
حتى لا تضيعي مني ..
بين حوريات البحر ...

14

أيتها السمكة التي تكتشف كل نهار
أبعاد جسدها ..
و أبعاد أنوثتها ..

وتتعرف على حقول حنطتها ..
و أشجار فاكهتها ..
و أعشاش عصافيرها ..
و موسيقى جداولها الربيعية ..
لا تعودي إلى البر أبداً .. يا حبيبتي
فالساعة في الوطن العربي
واقفة منذ القرن الأول ...

15

يا أميرة الأسماك ..
و أميرة النساء المصنوعات من توركواز البحر ..
و أميرة الأنوثة التي لا ضفاف لها ..
قرري في مطلع السنة الجديدة
ماذا تريدين أن تكوني :
سمكة متوحشة ؟
أم حمامة أليفة ؟
أم قطة سيامية ؟
أم غابة إفريقية ؟
أم فرساً تصهل في براري الحرية ؟
إن كل خياراتك مقبولة عندي .

و لكنني .. أفضل أن تكوني
عاصفة على شكل امرأة ...

16

أيها المرأة ـ السمكة :
يا التي تزوجتني
على سُنة البحر .. وموجه .. وزبده ..
و تركت بيوضها على شواطئ دمي
وفي رحم قصائدي ..
أحبك ..
أحبك ..
أحبك ...

لندن كانون الثاني (يناير) 1993

هل تقبلين أن تكوني أمي

1

عندما يأتي أيلول
يتغير الطقس في عينيك بشكل مفاجىء
ينقط المطر على زجاج قلبي
ويتغير نسيج عواطفي
وشبكة أعصابي
وفصيلة دمي
وتستيقظ غرائزي الكتابية
على رائحة العشب ، والأنوثة ، والزعتر البري
وتتغير هوية البحر الأبيض المتوسط
فيصبح بحرا آخر
لا هو أبيض
ولا هو أزرق
ولا هو متوسط .

2

عندما يأتي أيلول
ألفك على جسدي
كقطة نادرة من (الأوبوسون)
وأنام مطمئناً
على مستقبل الشعر
ومستقبل الحضارة . .

3

عندما يأتي أيلول
ألبسك قميصاً من الضوء السائل
والبروكار الدمشقي
وأدرُزك دَرزاً
بصلواتي . . وقبلاتي . .
وخيوط كلماتي . .
من قمة رأسك إلى أصابع قدميك . .

ومن قطبك الشمالي . . إلى قطبك الجنوبي . .
ومن مرتفعاتك الثلجية . . إلى أقاليمك الاستوائية .

ومن شاماتك المرسومة بالحبر الصيني

إلى نهدك الذي ما زال منذ عرفته

تلميذاً في دار الحضانة !!

4

عندما يأتي أيلول
تعيشين أنوثتك في أبهى لحظاتها
وأعيش رجولتي . . في ذروة رجولتها . .
وأسترجع تراثي البدوي . .
حيث تختلط في ذاكرتي
رائحة دشداشتك . .
برائحة الرند والعرار . .
ونكهة فمك . .
بنكهة البن العدني الممزوج بحب الهال . .
وإيقاع صوتك
بإيقاع الربابة . .

5

عندما يأتي أيلول
تصبحين امرأة ثانية
بمواصفات جديدة
وخطوط هندسية جديدة
ودوائر . . ومربعات جديدة . .
وأجلس على طرف السرير
لألتقط صور تذكارية
للانفجار الكوني العظيم
ومشاهد يوم القيامة . . .

6

عندما يأتي أيلول
اسمع تحت جلدي موسيقى المياه الجوفية . .
وأكتشف أن حبي لك . .
هو جزء من حركة الفصول
وكيمياء الأرض ،
وانبثاق الينابيع ،

وارتفاع السنابل ،
وتحولات البحر ،
وحرية المراكب ،
وليبرالية العصافير ،
أشعر أن حبي لك ..

هو الفصل الأجمل في كتاب العشق
والكلمة الأولى في سفر التكوين .

7

عندما يأتي أيلول .. لا تنتظري مني
أن أحبك على طريقة الشعراء العذريين ..
أو على طريقة المجاذيب .. والمتصوفين ..
و لا أن أقبل يديك كدبلوماسي محترف ..
فلقد كسرتُ طبلة الدبلوماسية منذ زمن بعيد
ورميت قفازتي البيضاء ..
وقبتي المنشاة .. ولغتي المنشاة ..
وقررت أن أواجه شفتيك مباشرة
بلا مقدمات ، ولا أسئلة ، ولا دليل سياحي
ولا ترجمان لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة .

لأن الترجمة بين رجل و امرأة ..
هي وقت ضائع ..
ومهمة مستحيلة ..

8

عندما يأتي أيلول
أشعر برغبة قوية
للعودة جنيناً إلى رحم أمومتك ..
حيث رائحة القرفة ، واليانسون ، وجوزة الطيب .
والحليب المُرَقـَّد ، ومربى النارنج ، والصابون النابلسي ..
عندما يأتي أيلول ..
أشعر برغبة طفولية قاهرة ..
للاختباء في تجويف يديك الصغيرتين ..
وتمزيق كل الجوازات المزورة التي أحملها ..
والعودة إلى أصلي ..

لندن 1992

عادات

تعودتُ قهوتك العربية
كل صباح .
ورائحة البن فِعل اعتياد .

*

تعودتُ صوتك
يضرب مثل البيانو
خفيفاً .
عميقاً .
حزيناً .
وصوت النساء ، معاشرة واعتياد ..

*

تعودتُ عطرك
يدخل تحت مسامات جلدي
وقد يصبح العطر ..
ـ مثل الكتابة ـ
فعل اعتياد ..

*

تعودتُ وجهك ..
يكتب نصف القصيدة قبلي .
ويمسك خيط العبارة قبلي .
ويغمس إصبعه
فى المداد ...

*

تعودتُ شَعرك
يمتد مثل العريشة فوقي ..
ويصهل فوق ضلوعي
صهيل الجياد ..

*

تعودتُ قفطانك المغربي
ينقط ورداً ، وماء ، عليّ ..
وفى حالة العشق ..
يصبح ثوب الحبيبة بيتاً ..
ويصبح أماً ..
ويغدو لنا وطناً .. مثل كل البلاد ..

*

تعودتُ عينيك
مثل حشيشة كيف ..
فما عدت أبصر
بين العيون الكبيرة ..
إلا السواد ..

*

تعودتُ أن أتغطى بريش حنانك
خمسين عاماً ..
ومنذ سحبتِ غطاء الأمومة عني
نسيتُ الرقاد ..

*

تعودتُ جسمك ..
يسرق نصف الشراشف مني

ونصف الوساد .
ويحتلني بوصة بوصة
ويتركني كومة من رماد ...

لندن 1992

الأندلسي الأخير

1

أتخبط على رمال حبك
كثور إسباني ..
يعرف سلفاً أنه مقتول .
كما يعرف أن جسده
سوف يُلف بالعلم الوطني ،
ويُحمل على عربة مدفع ،
ويُدفن في مقابر القديسين
والشهداء ...

2

أتخبط تحت شمس عينيك
نازفاً من كل أطرافي
وعارياً ..
إلا من قميص كبريائي .

3

أدخل الملعب
على موسيقى (الباسا دوبلي)
وصراخ القشتاليين
ورفيف مراوح الإسبانيات .
أدخله ..
و أنا أعرف أن الحياة وقفة عز ...
و كتابة الشعر وقفة عز ..
و الاستشهاد بين ذراعي امرأة جميلة
هو ذروة الشهادة ...

4

أدخل الملعب ..
وأنا أعرف أنني لن أخرج منه
إلا مضرجاً ..
بالكحل ..
و الأساور ..
وحرير مراوح الأندلسيات ...

5

الشهادة ...
في سبيل الشعر .. والنساء .. لا تقلقني
فهناك دائماً ثمن لكل شيء ...
ثمن للمرأة التي نحبها ..
وثمن للقصيدة التي نكتبها ..
و ثمن للعطر الذي نتوضأ به ..
وثمن للنهد الذي نتزحلق كالأطفال
على مرتفعاته الثلجية !!

6

أنا وحدي ..
تحت سماء عينيك الصافيتين
كسماء البحر الأبيض المتوسط .
أواجه وجهك الجميل ..
وموتي الجميل ..
بفرح لا ضفاف له .
و أتلقى مبتسماً
طعنات أنوثتك
القادمة من الجهات الأربع ...

7

أنا الأندلسي الأخير
الذي جاء يطالب بحصته
من ثياب أبيه ..
وخصلة من شعر أمه ..
وقصيدة من ديوان ابن زيدون ..

وخاتم من خواتم ولادة بنت المستكفي ..
و آخر خيط من خيوط السجادة
التي صلى عليها عبد الرحمن الداخل ...

8

أنا الأندلسي الأخير
الذي أضاع كل مفاتيحه
في مياه برشلونة ..
ومياه الإسكندرونة ..
ومياه حيفا ..
أنا الأندلسي الأخير
المتسول على أرصفة غرناطة
و أنا آخر هندي أحمر ..
نجا من أسنان كريستوف كولومبوس ...

9

أنا نزار قباني .
البدوي .. والحضاري .
و اليميني .. والماركسي .
و الجنسي .. والعذري .
والأصولي .. والانقلابي .
والعربي .. واللاعربي !! ..

10

أنا الأندلسي الأخير .
أواجه وحيداً
سادية المتفرجين ..
ووحشية اللاعبين ..
و كاميرات السياح الأميركيين
الذين جاؤوا من مراعي تكساس
ليأكلوا من وليمة جسدي

تنفيذاً لقرارات مجلس الأمن
و أكاذيب النظام العالمي الجديد !! ..

لندن 1993

أستاذ الحب .. يستقيل

1

لا تهتمي ، يا سيدتي ، في أقوالي
ليس لديَّ دروسٌ أعطيها
لا في الحب ..
ولا في الجنس ..
فنصف كلامي شطحات خيال .
فأنا ألعب بالكبريت ..
و أحرق نفسي مثل جميع الأطفال ..

2

لا تهتمي ..
فيما أكتب يا سيدتي
فأنا رجلٌ يزرع قمحاً فوق الريح

و يكتب شعراً فوق الماء ..
ويصنع حُباً
من موسيقى البحر ،
ومن رائحة العشب ،
ومن أنفاس الغابات .

3

لا تهتمي بأقاصيصي
فأنا أعرف كم حرضتك ..
كم ورطتك ..
كم دوختك ..
عند قراءة أشعاري .
وأنا أعرف
ماذا حفرت لغتي فيك ..
و ماذا حفرت كتبي فيك ..
و ماذا فعلت في أفكارك أفكاري .

4

لا تصغي لي ..
لا تصغي لي ..
فأنا رجل خرب العالم بالكلمات ..
وغيَّر لون البحر ..
ولون الأفق ..
وغيَّر ورق الأشجار .
لا تصغي لي حين أقول
بأنك من عائلة الورد ..
ومن عائلة الأقمار .
فأنا رجل خطر .. خطر ..
يسكن يوماً في حي النهدين ..
و يوماً ، في أسنان الإعصار ..

5

لا تهتمي في ثرثرتي ..
أو فلسفتي ..
أو تنخدعي ببراعات حواري .
فانا أعرف ..
كم حطمتُ .. وكم خربتُ ..
و ماذا ترك العنف على كشمير يديك ..
وماذا تركت خيلي ..
من بصمات في شفتيك ..
وماذا تركتْ
فوق سريرك أمطاري !! ..

6

لا تهتمي ..
فيما قالت صحف العالم عن أخباري ..
أو أخبار فتوحاتي ..
فأنا أعرف أن خرافة مجدي

بُنيت من أحجار النـهد ..
وياقوت الحلمات !! .

7

يا من تخلط بين الحب ، وبين السحر .
وبين القلب ، وبين العقل ،
وبين نصوص الشعر ..
وبين نصوص التوراة ..
أنا لا أقرأ في الفنجان ..
ولا أتنبأ بالأقدار ..
فلا تنشغلي ..
في تفسير نبوءاتي ...

8

يا سيدتي :
كوني امرأة عاقلة
فأنا لستُ نبي الحب

ولا أتذكر أني
قد أنزلتُ على مُعجَبَةٍ آياتي ..
فأنا نفسي ..
لستُ أصدق آياتي !! .

9

لا تضطربي .. يا سيدتي
فأنا أعرف ماذا يفعل فيك العشق ،
وتفعل في فمك القبلات ..
و أنا أعرف ماذا يفعل فيَّ الشعر ..
وكيف تخدرني رائحة الحبر ..
ويذبحني سيف الكلمات ..

10

كم يخجلني تاريخي .
إذ أتذكر كم مجنوناً كنتُ ..
وكم سادياً كنت ..
وكم شيطاناً ..
حين قذفتك ذات مساء
مثل القطة في وسط النار !! ..

11

كم يؤلمني أن أتذكر ..
أني قد دحرجتك ..
يوماً فوق الثلج ..
ويوماً فوق الجمر...
ويوماً فوق الموج ..
ويوماً فوق الرمل ..
ويوماً فوق البرق ...
ويوماً فوق الرعد ..

ويوماً فوق براعم آذار ..

12

ماذا أفعل يا سيدتي ؟
إن ذنوبي أكبر من أن تُحصى .
فأنا أشعر أن جميع نساء العالم ضدي
في محكمة العشق ..
و أن لا امرأة في التاريخ ،
ستقبل مني أعذاري ...

13

كيف أحاضر في الحرية ، يا سيدتي ؟
كيف أحاضر في تحرير الرأي ...
وفي تحرير الحب ..
و في تحرير الأعين و الأهداب ؟
و أنا أحمل في ميراثي

كل سلالات الإرهاب !!

14

لا تنتظري شيئاً مني .
فأنا تَعِبٌ من أخبار الحرب ،
ومن أخبار الحب ..
ومن أخبار بطولاتي ..
و أنا تَعِبٌ من تشجير البحر ..
من تجميل القبح ..
ومن تحريض الأموات ..

15

يا سيدتي :
لا تنتظري الثورة مني
فأنا أشعر أنكِ آخِر ثوراتي ..

لندن 1993

انقلابٌ .. بقيادة امرأة

1

للمرة الأولى ..
في تاريخي النسائي الطويل
تقود امرأة انقلاباً عليَّ ..
وتنتصر ...

2

للمرة الأولى ..
تطيح بي ، ثورةٌ ثقافية
خططتْ لها امرأة ..
فلا تُبقِي حجراً في مكانه ..
أو كتاباً .. أو ورقة ..
أو جملة .. أو فاصلة في مكانها .

أو ضلعاً من أضلاعي في مكانه .

3

للمرة الأولى ..
تتناقص حروف أبجديتي .
ويتناقص عدد أصابعي .
وتتناقص مساحة سلطتي .
و أشعر أنني مَلِكٌ
منفي خارج أسوار لغته ...

4

للمرة الأولى ..
يُلقى القبض على قصائدي الغزلية الشهيرة ..
وتقام الدعوى عليّ ..
بتهمة التحريض على الحب ..
والتغزل

(بعيون المها بين الرصافة و الجسر) ...

5

للمرة الأولى ..
أشعر أنني خارج السلطة .
وأن (جمهورية الحب)
التي حكمتُ فيها ، خمسين عاماً
تهتز تحت أقدامي ...

6

للمرة الأولى ..
أشعر أن امتيازاتي قد سقطت ..
وأن نياشيني قد انتزعت مني ..
وأن نسائي خرجن على طاعتي .
وجنودي هربوا من الخدمة العسكرية ...

7

للمرة الأولى
تطردني امرأة من سريري
وترغمني على أن أنام
في منفضة السجائر !! .

8

للمرة الأولى
تتحداني الكلمة الأنثى
وتحطم كبريائي ،
وشهرتي ،
وأساطير غروري ..

9

للمرة الأولى
تخلعني امرأة عن عرشي
المطعم بالذهب .. والياقوت ..
والحجارة الكريمة ..
وتأخذ مني مفاتيح وزارة الثقافة ..
ومفاتيح النحو .. والصرف .. واللغة ...
و تعيدني بدوياً
يكتب على دفاتر الريح ...

10

كم أنا سعيد بثورتك
أيتها الانقلابية الحسناء ..
فهل أجمل من أن تحكمني وردة ؟
أو غزالة ؟
أو قصيدة شعر ؟
وهل أجمل من أن تقوم الدولة الأنثى ؟
والعدالة الأنثى ؟ .

والحرية الأنثى ؟...

11

أعترف يا سيدتي
أن انقلابك كان ناجحاً .. وشجاعاً ..
وجيد التخطيط ..
و أعترف دون تردد
(بالنظام الأنثوي الجديد) ..
في مواجهة النظام العالمي الجديد
فأنا لستُ ضد أي فرس تريد أن تصهل ..
ولا ضد أي سنبلة تريد أن ترتفع ..
ولا ضد أي سمكة تريد أن تقفز من البحر ..
ولا ضد أي عصفور
يريد أن يدخل مدرسة الحرية ...

12

يا سلطانة السلاطين :
أنا معك ..
في انتصارك التاريخي الباهر
ولكن .. إذا قتلتِ جميع رجال العالم
فماذا ستفعلين وحدك ؟؟

لندن 1991

إلى امرأة كانت حبيبتي

انكسر إناء السيراميك الأزرق
الذي كنا نحتفظ به .
وانكسر معه شيء فى داخلنا
لا يمكن إلصاقه .
فأنا أعرف ،
وأنت تعرفين ،
أن الأواني الجميلة
لا يمكن إلصاقها .

*

شاخت كلمات الحب . . يا سيدتي
شاخت الألف .
وشاخت الحاء .

وشاخت الباء .
فقدت تاءات التأنيث بكارتها
ولم تعد نون النسوة
تدر حليباً !! ..

*

كل شيء
تساقط كالورق اليابس
على أرض مخيلتي .
كل خواتمك .
كل مكاحلك .
كل قبعاتك الصيفية .
كل صَرْعَاتك الهيبية .
تحولت إلى فتافيت خبز
أكلتها العصافير . . .

*

أخبريني ، يا سيدتي
ماذا يفعل العاشق بزجاج القلب
حين ينكسر ؟
وبالشهوة حين لا تشتهي ؟
وبالصراخ حين لا يصرخ ؟
وبالعشق حين لا يعشق ؟

*

نحن مختلفان فى كل شيء .
أنت متمسكة بموسيقى خلاخيلك . .
وأنا متمسك بموسيقى حريتي .
أنت من حزب الوسط . .
وأنا من حزب المجانين . .
أنت مقيمة فى النصوص . .
وأنا مهاجر منها . .
أنت ملتزمة بسلطة القبيلة . .

وأنا ضد جميع السلطات . . .

أنت جزء من التاريخ . .
وأنا لا تاريخ لى . . .

*

يا التي كنت تملئين الدنيا
وتشغلين الناس .
ماذا فعل بك الزمان ؟
ماذا فعلت بنفسك ؟
كيف تحولت من بطلة شهيرة
إلى فتاة كومبارس ؟
ومن رواية كلاسيكية عظيمة . .
إلى مقالة صحفية ؟
ومن عمل تشكيلي
إلى عمل لا شكل له ؟ .
ومن امرأة تشعل الحرائق
إلى امرأة تحت الصفر . . .

*

أيتها الفينيقية . .
التى تاجرت بكل شيء . . .
وخسرت كل شيء . .
لماذا لا تعترفين ؟
بأن ثوراتك كلها
كانت على الورق . .

وعواطفك كلها

كانت من ورق . . .

ومراكبك كلها
كانت مصنوعة من ورق . . .

*

اختلفت طموحاتنا ، يا سيدتي
فأنا ذاهب إلى يسار القصيدة . .

وأنت ذاهبة إلى يمينها . . .
أنا ذاهب باتجاه البحر . .
وأنت ذاهبة باتجاه الجاهلية . .
أنا أبحث عن حجر الفلاسفة . .
وأنت تبحثين عن أحجار الزمرد والياقوت . .
أنا أبحث عن عناوين الريح . .
وأنت تبحثين عن باب المحكمة الشرعية ! ! . .

*

ماذا حدث يا امرأة ؟
كيف تحولت من امرأة رافضة
إلى ثورة مضادة للثورة ؟
ومن فرس متمردة . .
إلى سجادة فى قصر أبي لهب ؟ ؟

*

قضي الأمر . .
قضي الأمر . . يا سيدتي .
فلم يعد بوسعك أن ترممي
إناء السيراميك الأزرق . .
ولم يعد بوسعك . .
أن تعيدي عقارب الحب إلى الوراء . .
ولا أن تعيديني معك إلى الوراء . . .
فأنا مجنون من مجانين الحرية . .
وأنت الزوجة الواحدة بعد الألف
من زوجات شهريار !! . . .

لندن 1990

من يوميات رجل نصف مجنون

1

بعد تاريخ من النرجسية
لا ضفاف له ..
وتاريخ من التعددية ..
والشهريارية ..
والراسبوتينية ..
يلاحقني حيث ذهبت .
أشعر برغبة في تجميل صورتي لديك ،
و الاعتذار عن ماضٍ لم تكوني فيه ...
وعن حماقات لم ترتكبيها ..
وعن قصائد حب مجنونة
لم تشتركي في كتابتها ...

2

بعدما تخليتُ عن هواياتي الأولى
في جمع الطوابع ...
وجمع التحف القديمة ..
وجمع النساء الجميلات ...
وبعدما ضجرتُ من جسدي
ومن سيوفي الخشبية
ومعاركي الدونكشوتية
وإقطاعاتي التي لا يغيب عنها النهد ...
أطرق بابك لاجئاً شعرياً
مطروداً من جميع فنادق العالم .
حتى أقول لك :
بأنك الأنثى الأخيرة .
والمحطة الأخيرة .
والطلقة الأخيرة .

3

لا حاجة لارتداء الملابس المسرحية
أو للتنكر ، يا سيدتي .
فأنا مكشوف على الجهات الأربع ..
وتاريخي معلق على جدران الجرائد العربية ..
وأسماء حبيباتي .. تبث على كل الموجات
عن طريق الأقمار الصناعية .

4

كيف أقنعك ..
بطهارتي ، وطفولتي ، وصوفيتي ؟
وسيرتي الذاتية ، معروضة في كل المكتبات
وتعرفها حتى القطط .. والأسماك ..
والعصافير ...

5

كيف يمكنني أن أكون حبيبك ؟
بعد كل هذا التاريخ الذي لا يمكن تجميله ،
ولا ترميمه ..
ولا غسيله بأي مسحوق من مساحيق الغسيل ..

6

كيف أقنعك يا سيدتي ؟
بعدالة قضيتي .
بعد كل هذا التاريخ المضرج بالفضيحة ..
من أول سطر ، حتى آخِر سطر فيه ..
والموثق بمحاضر البوليس ،
ومطالعة النيابة العامة ،
وإفادات ألوف النساء ؟؟

7

كيف يمكن أن تصدق امرأة مثلك
رجلاً مثلي ؟
يحمل على كتفيه ،
خمسين عاماً من الشعر ..
وخمسين عاماً من الجنون ..
ومليون امرأة !!

8

كيف يمكن لامرأة مثلك ..
أن تحب رجلاً مثلي
يقترف كل يوم
قصيدة جديدة ..
وحبيبة جديدة ؟ .

9

إن مشكلتي معك ..
هي أنني لا أستطيع أن أكون سرياً .
فأنا أفرز كلمات الحب
كما تغزل شرنقة الحرير خيوطها ..
وكما تصنع النحلة عسلها ..

10

هل تسمحين لي أن أحبك ؟؟
قد يكون سؤالي مضحكاً
و اعترافاتي قد تأخرت ثلاثين عاماً .
ومع هذا ..
أدخل عليك ، بلا استئذان
لأرمي سلاحي على قدميك ..
وأعطيك مفاتيح مملكتي .
أنا لا أريدك أن تتورطي معي
في أي مشروع عاطفي .

فأنا أعرف أن سوابقي كثيرة
وأن سمعتي في المدينة ليست طيبة الرائحة ..
كما أعرف أن ملفي النسائي بين يديك
سوف ينفجر في أية لحظة .
كل هذا أعرفه.
غير أنني أرجوك أن تعطيني فرصة أخيرة
كي أقول : أحبك ..
ولو لمرة واحدة ..
حتى أبلل حنجرتي ..
و أسقي أزاهير رجولتي ...

12

هل تسمحين أن ...
هل تسمحين أن ..
إنني لا أنتظر جواب أسئلتي .
فالنساء هن مجموعة من الأسئلة
لا يعرف جوابها ..
إلا الله ...

لندن 1992/7/9

المظليون يهبطون في عيني حبيبتي

1

سامحيني ، يا سيدتي
إذا كنت جارحاً ، وعدوانياً ،
وعصبي الكلمات .
فلم يعد بإمكاني أن أتصالح مع اللغة ..
ولا مع الحب ..
ولا مع نفسي .
فقد دخلنا مرحلة فك الارتباط
وما عادت تنفعنا الكلمات الطيبة
ولا العبارات المهذبة .
فلماذا التكاذب ؟
ولماذا التظاهر ؟
ولماذا نلبس ثياباً عاطفية
صارت ضيقة علينا ؟ ...

2

إن الستارة قد نزلت ..
وانصرف الجمهور .
و أطفئت الأنوار .
ولم يبق لي دور في المسرحية العبثية
ولم يبق لك دور .
فلماذا نصر على قراءة نص لا نعرف معناه ؟
وعلى تكرار حوار لا نحس بحرارته ؟ ...

3

إنني آسف يا سيدتي
فأنا لا أستطيع أن أحبك
في منأى عن وجع الأرض ..
ووجع الإنسان ..
ووجع التاريخ العربي .
لا أستطيع أن أعانقك

فوق بحر من العهر .. والقهر ..
والنفايات السياسية .
لا أستطيع أن أمشط شعرك الطويل
وأنت مستلقية ..
على سطح هذا الكوكب العربي المحترق !!

4

سامحيني يا سيدتي
فأنا جزء من هذا الخراب الكبير
ومن هذا الموت الكبير
ولا أستطيع أن أفصل سواد عينيك
عن سواد السماء في بلادي .
و لا أن أفصل زمن القمع ..
عن زمن الياسمين ..
ولا أن أشرب النبيذ الفرنسي
والناس في بلادي
يشربون دمهم ...

5

إن وجهك الجميل
أصبح صفحة بيضاء
لا أرى فيها شيئاً ..
ولا أقرأ شيئاً ..
ولا أستوعب شيئاً ..
صوتك أبيض .
كلامك أبيض .
شعورك أبيض .
سواد عينيك .. هو أيضاً
أبيض !! .

6

لماذا لا نعترف ، أيتها الاستثنائية ..
أن حبنا الاستثنائي
قد دخل في (الكوما) ..
ولن تنقذه الوصفات العربية

ولا الإبر الصينية ..

7

ألا تحسين معي ؟
أن شراشف الطاولة
التي نجلس عليها في هذه الكافيتيريا
ملطخة بالدم العربي ؟

8

ألا تبصرين السفن الصليبية
وهي تبحر ..
في فناجين قهوتنا ؟؟

9

كيف يمكنني ، يا سيدتي
أن أقطف الياسمين
من بساتين يديك ؟
والنظام العالمي الجديد
ألغى قصائد الحب العربية ..
وشنق قيس بن الملوح
على ضفائر ليلى العامرية ..

10

وداعاً يا سيدتي .
وداعاً يا لؤلؤتي .
فلم يعد لي مكان
على شواطئ عينيك الحزينتين
لأن المظليين الأميركيين
سبقوني إليهما ...

لندن 1990

الديك

1

في حارتنا
ديك سادي سفاح .
ينتف ريش دجاج الحارة ،
كل صباح .
ينقرهن .
يطاردهن .
يضاجعهن .
ويهجرهن .
ولا يتذكر أسماء الصيصان !!

2

في حارتنا ..
ديك يصرخ عند الفجر
كشمشون الجبار .
يطلق لحيته الحمراء
ويقمعنا ليلاً ونـهار .
يخطب فينا ..
ينشد فينا ..
يزني فينا ..
فهو الواحد . وهو الخالد.
وهو المقتدر الجبار .

3

في حارتنا ..
ثمة ديك عدواني ، فاشيستي ،
نازي الأفكار .
سرق السلطة بالدبابة ..

ألقى القبض على الحرية والأحرار .
ألغى وطناً .
ألغى شعباً .
ألغى لغة .
ألغى أحداث التاريخ ..
وألغى ميلاد الأطفال ..
و ألغى أسماء الأزهار ..

4

في حارتنا ..
ديك يلبس في العيد القومي
لباس الجنرالات ..
يأكل جنساً ..
يشرب جنساً ..
يسكر جنساً..
يركب سفناً من أجساد
يهزم جيشاً من حلمات !! ..

5

في حارتنا ..
ديك من أصل عربي
فتح الكون بآلاف الزوجات !!

6

في حارتنا ..
ثمة ديك أمي
يرأس إحدى الميليشيات ..
لم يتعلم ..
إلا الغزو .. و إلا الفتك ..
و إلا زرع حشيش الكيف ..
وتزوير العملات .
كان يبيع ثياب أبيه ..
ويرهن خاتمه الزوجي ..
ويسرق حتى أسنان الأموات ...

7

في حارتنا ..
ديك . كل مواهبه
أن يطلق نار مسدسه الحربي
على رأس الكلمات ..

8

في حارتنا ..
ديك عصبي مجنون .
يخطب يوماً كالحجاج ..
ويمشي زهواً كالمأمون ..
ويصرخ من مئذنة الجامع :
((يا سبحاني .. يا سبحاني ..))

((فأنا الدولة ، والقانون)) !! .

9

كيف سيأتي الغيث إلينا ؟
كيف سينمو القمح ؟
وكيف يفيض علينا الخير ، وتغمرنا البركة ؟
هذا وطنٌ لا يحكمه الله ..
ولكن .. تحكمه الديكة !!

10

في بلدتنا ..
يذهب ديك .. يأتي ديك ..
والطغيان هو الطغيان .
يسقط حكم لينيني ..
يهجم حكم أمريكي ..

والمسحوق هو الإنسان ..

11

حين يمر الديك بسوق القرية
مزهواً ، منفوش الريش ..
وعلى كتفيه تضيء نياشين التحرير
يصرخ كل دجاج القرية في إعجاب :
((يا سيدنا الديك)) .
((يا مولانا الديك)) .
((يا جنرال الجنس .. ويا فحل الميدان ..)) .
((أنت حبيب ملايين النسوان)) .
((هل تحتاج إلى جارية ؟)) .
((هل تحتاج إلى خادمة ؟)).
((هل تحتاج إلى تدليك ؟)).

12

حين الحاكم سمع القصة ..
أصدر أمراً للسياف بذبح الديك .
قال بصوت غاضب :
((كيف تجرأ ديك من أولاد الحارة))
((أن ينتزع السلطة مني ..))
((كيف تجرأ هذا الديك)) ؟؟
((وأنا الواحد دون شريك)) !! .

لندن 1992

صباح الخير أيها المنفى

1

ما عدتُ في المنفى أحس بغربة
أو وحشة ..
أو أشتكي هذا الرحيل القاسيا
قد أصبح المنفى صديقي الغاليا .
يأتي إلى المقهى معي .
يقرأ جرائده معي .
ويعد وجبات الطعام معي .
ويقيس بدلاتي .. وقمصاني ..
ويلبس نصف أحذيتي معي ..
ويحب آلاف النساء معي ..
ويمل من كل النساء معي ..
وينام ملء جفونه
وأنا أظل مع القصيدة صاحيا .

2

ما عدت في مدن الشمال ممزقاً
متسكعاً ..
متشرداً ..
متهاويا ..
ما عدت في باريس أو في لندن
أمشي على ثلج الشوارع حافيا ..
ما عدت أركض في الحدائق عاريا ..
قد أصبح المنفى قميصاً ثانيا .

3

للحب في المنفى مذاق آخر .
لضياعنا الليلي في (سوهو) مذاق آخر .
لشطائر (البيتزا) مذاق آخر .
للبيرة الشقراء ، طعم آخر .

للقهوة السوداء ، طعم آخر .
للبرق والأمطار في عينيك .. عمق آخر .
للقرط في أذنيك ، جَرْسٌ آخر .
حتى جنون الحب حين نعشيه
في لندن .
يبدو جنونا راقيا ...

4

هل ممكن ؟
أن يصبح المنفى كأية زوجة
نختارها يوماً ، ولا نختارها .
وتصير رائحة المراكب عادة
وتصير أهداب النساء صواريا ؟ ...

5

هل ممكن ؟
أن يصبح المنفى أبي .. ومعلمي ..
وثقافتي .. وتراثيا ؟ .
يصغي إلى (يا جارة الوادي) معي .
ولأم كلثوم معي .
ولصوت فيروز معي .
فأصير أزهاراً .. و أشجاراً ..
ونـهراً جاريا ...

6

شكرا لمنفاي الجميل .. فإنـه
أهدى إليَّ حضارة .. وخرائطاً ... وموانئاً ..
وقصائداً .. وقوافيا ...

7

لم يكسر المنفى عظام أصابعي
أبداً .. ولم يخفض جبيني العاليا .
فلقد زرعتُ على الكواكب حنطة
وغرست فوق الأطلسي دواليا ...

8

إن المسافة لا تخيف مراكبي
فإذا ابتعدتُ ..
فكي أكون الرائيا ..
ما دمتُ أكتب .. ليس عندي مشكل
فأنا أحدد وجهتي .. ومكانيا ..
أنا قادر أن أصنع الوطن الذي أختاره ..
بدقائق ..
وأشق فيه جداولاً وسواقيا ..

9

لم تخترعني دولة .. أو سلطة
فأنا اخترعتُ قبيلتي .. وبلاديا ..

لندن 1993

الفهرس